آلية التعامل الفلسطيني

ان تحقيق الاهداف السابقة، وغيرها، يتطلب اعتماد الأدوات الكفيلة بذلك. وبصفة عامة، تنقسم أدوات السياسة الخارجية، من الناحية النظرية، الى أدوات دبلوماسية، وأدوات اقتصادية، وأدوات فكرية ودعائية، وأدوات عسكرية[٢٣]، وتنطبق هذه الآلية على الوحدات الأساسية في النظام الدولي، وهي الدول. لكن السياسة الفلسطينية، من جانبها، لم تهمل أياً من هذه الادوات في تعاملها الاقليمي، والدولي. وهذا ما تشير اليه المواثيق الأساسية للمنظمة، من جهة، وما يمكن استنتاجه من ممارسات السياسة الفلسطينية، من جهة أخرى.

فمنذ بدأ اقتناع أبناء الشعب الفلسطيني بعدم جدوى الاعتماد على الدول العربية في تحرير فلسطين، أخذت الطلائع السياسية من بينهم تؤكد ضرورة الالتفات الى الطاقات الذاتية لتحقيق هذا الهدف، مع العمل على استقطاب المساندة العربية والدولية[٢٤]. وقد كانت السياسة الفلسطينية، ولا تزال، تستهدي بهذه القناعات. في هذا الاطار، تعدّ مقولة الكفاح المسلّح وحرب التحرير الشعبية كأداة لمواجهة المدّ الصهيوني ـ الاسرائيلي في فلسطين (والمنطقة العربية) من أهم اضافات الفكر السياسي الفلسطيني، في ما يتعلق بمسار الصراع العربي ـ الاسرائيلي[٢٥]. وقد قامت هذه المقولة على ان المشروع الصهيوني قد قام على العنف، واستمر به، على حساب الشعب الفلسطيني. وهكذا يمكن القول انه اذا كانت الادوات العسكرية هي ـ في المعتاد ومن الناحية النظرية على الاقل ـ آخر ما يتمّ اللجوء اليه من أدوات لتحقيق أهداف السياسة الخارجية[٢٦]، فان استخدام العنف، بأنماطه المتعدّدة، ربما يمثّل الاداة الاساسية لحركة تحرر وطني، لها ظروف حركة التحرر الفلسطينية التي تقودها م.ت.ف. وذلك لاستحالة تحقيق اهداف هذه الحركة بالادوات المعتادة الأخرى. وممّا تجدر الاشارة اليه، ان الكفاح المسلّح، كأداة لتحقيق الأهداف الفلسطينية، لم يتمّ النص عليه في «الميثاق القومي الفلسطيني»، في العام ١٩٦٤، وانما تمّ ذلك في الصيغة المعدّلة التي حملت اسم «الميثاق الوطني الفلسطيني» الصادرة في العام ١٩٦٨[٢٧]. غير ان الاتجاه الى العمل المسلّح كان واضحاً تماماً منذ نشأة المنظمة، عندما تمّ انشاء جيش التحرير الفلسطيني، كجناح عسكري للمنظمة.

تعمل الأداة العسكرية الفلسطينية بأسلوبي حرب العصابات والعمل العسكري النظامي. وينهض بهذين الاسلوبين كل من الفصائل الفلسطينية الفدائية (داخل الارض المحتلة وخارجها) وجيش التحرير الفلسطيني. وهناك المليشيات الشعبية التي برزت، بمرور الوقت، من خلال عمليات التدريب والتعبئة التي قامت بها م.ت.ف. وفصائلها الفدائية في مختلف التجمّعات الفلسطينية[٢٨]. ولا ينبغي، في هذا الموضع، اغفال أهمية عمليات التعبئة السياسية، والعسكرية، التي انتهجتها السياسة الفلسطينية من ربع قرن. فهذه العمليات اتت أكلها في عمليات المقاومة المستمرة للاستعمار الصهيوني ـ الاسرائيلي، التي بلغت ذروتها في اعتماد أشكال العنف كافّة ابّان الانتفاضة الكبرى، بدءاً من الاشتباك اليدوي والرشق بالحجارة، وانتهاء باستخدام القنابل الحارقة والسكاكين والاسلحة الخفيفة. فهذه الأدوات، جميعاً، تنتمي الى اشكال العنف، بأنماطه المختلفة.

والواقع ان الأدوات العسكرية الفلسطينية حقّقت انجازات ملموسة في غير مجابهة مباشرة مع قوات الاستعمار الاسرائيلي، مثل معركة الكرامة في آذار (مارس) ١٩٦٨، وحرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، والغزو الاسرائيلي للبنان في العامين ١٩٧٨ و١٩٨٢، هذا فضلاً عن آلاف العمليات الفدائية داخل فلسطين المحتلة. وقد أدّت هذه الادوات دوراً ايجابياً، وكانت، وما زالت،